JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ
العدد الثلاثون
(٦٢١) (٦٣٤)

الخطاب الحجاجي في المقدِّمة النقدية
طبقات فحول الشعراء أنموذجاً

أ.م.د فالح عبدالله شلاهي
جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية
fshlahi@uowasit.edu.iq

المستخلص:

تروم هذه الدراسة الوقوف على الخطاب الحجاجي الذي تكتزه المقدمات النقدية المحمّلة في عطائها المعرفي، وحظيت هذه المقدمة بعناية كبيرة، لما لها من الأهمية بمكان، إذ تعدّ مكمن أطروحة المؤلف المركزية، التي يحاول أن يقعّدها في المتن، وتمثّل الكشوفات الأولى لحمولاته الفكرية التي يراد لها أن تُمرَّر.

من هنا عملت الدراسة على المواشجة بين التراث و المعاصرة، من خلال عقد الموافقة بينهما. فكان الاتّكاء على لبنة مركزية في التأسيس النقدي، ومن ثم استدعاء الرؤى والأفكار التي بُنيت تتابعياً من أجل ربطهما مع هذا التأسيس، وذلك لما يحمله من دور محوري في نتاج الأوائل وإبداعات القدماء، غايتها جراء هذا الانصهار والاندماج ؛ التحويل من كونها نصوصاً مستقلة بغاياتها إلى نصوص موازية ومشاركة تُلهَب فيها رغبة القراءة عند المتلقي، والكشف عن الحمولات التي تحملها من خلال المحاورة للبذور الأولى التي انطلق منها التراث النقدي والمحافظة عليه، وإبراز ما يكتنفه من طروحات ومن ثَمّ تهيئة المتلقي نفسياً وذهنياً للانتقال إلى لحظة ذهنية مغايرة في عملية تلقي الخطاب.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، المقدمة، التراث، المعاصرة، الاطروحة الموازية.

Argumentative Discourse in the Critical Introduction: Ṭabaqat Fuḥul al-Shuʿaraʾas Case Studies

Assistant Professor Dr falih Abdullah shalahi
University of wasit/college of basic Education/Department of Arabic language

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

fshlahi@uowasit.edu.iq

Abstract

This paper investigates the nature of argumentative discourse as it appears in critical introductions, which often serve as repositories of substantial intellectual and epistemic value. The introduction under amination has received particular scholarly attention due to its central ex importance since it constitutes the locus of the author's principal treatise, which he seeks to establish within the body of the work. At the same time, it deas sure of his intellectual orientation and the irepresents the initial expo .that he intends to transmi

The study, hence, attempts to mediate between tradition and modernity by drawing a productive dialogue between them. It takes as its ock of early critical practice, then traces the foundation a central edifice bl sequentially developed visions and ideas constructed upon it to connect both dimensions. This foundation played a pivotal role in the contributions of n, such introductions early critics. Through processes of fusion and integratio contained texts with their own ends into parallel, -are transformed from self participatory texts that ignite in the reader a desire for deeper engagement. They thereby disclose the intellectual content they carry by revisiting the liest seeds from which the critical tradition emerged and by ensuring its ear preservation. At the same time, they foreground the proposals embedded within the tradition, preparing the reader, psychologically and intellectually, .tive prospect in the reception of discoursefor a transition to a new cogni

Keywords: discourse, introduction, tradition, modernity, parallel treatise

المقدّمة

جاءت العناية بخطاب المقدمات حجاجياً، وذلك بسبب خلو الساحة البحثية والنقدية، لمثل هذه الدراسات. إذ نجد اتجاه بوصلة الدراسات السابقة لمتن الكتاب من دون سواه، فحظيت المقدمة بعناية طفيفة يتم توظيفها من حيث المكان متقدمةً على المتن، ومن ثم اشتمالها على بعض المعطيات منها التعريف بصاحب العمل وطبيعة الموضوعة المرقنة، والدواعي التي أدت إلى التّأليف، وهي بلا شك تُقرَأ هنا قراءة مباشرة، من دون الغوص والنظر إلى الحمولات القابعة فيها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

الخطاب الحجاجي في المقدِّمة النقدية طبقات فحول الشعراء

بما إن المعرفة تُبنى تتابعياً، نهض مبحث علمي وسعى للعناية بها، حيث يرتكز اشتغاله بما يحيط بالنص، غايته تقديم فهم متقدّم للنص ذاته، وعلى وفق هذه الأطروحة جاء الاهتمام بالمقدمة بوصفها جزءاً "من نظام معرفي عام هو ما يطلق عليه في الاصطلاح الفرنسي **paratexte** وتعني مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه : حواشٍ وهوامش وعناوين رئيسية وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة وغيرها من بيانات النشر المعروفة التي تشكّل في الوقت ذاته نظامًا إشاريًا ومعرفيًا لا يقل أهمية عن المتن الذي يحيط به، بل إنه يلعب دورا هاما في نوعية القراءة وتوجهها"﴿ بلال، ٢٠٠٠م: ١٦﴾

وعند ترجمة المصطلح الفرنسي تشظّى إلى ترجمات عدة منها: المناص، والنّص الموازي، والتوازي النصي، والنص المحاذي، والنّص المؤطّر، والنّص المشارك. ﴿ ينظر: بلعابد، ٢٠٠٨م: ٤٣﴾

إن كثرة الترجمات وتعددها لهذا المصطلح، لا يخرجها إلى فضاء الدراسات الإقناعية، بل فتح المجال البحثي للاهتمام بالدراسات النصية، التي تعد تحولًا ملحوظًا في الخطاب الأدبي .

وبهذا الترقين تحتل نصوص الماحول أو النصوص المصاحبة مكانة كبرى تحمل في أثنائها كثافة معرفية، يسهل بها الولوج في عوالم النصوص الداخلية. وهي مع كل هذا لم تفارق في اشتغالها من مكاشفة النصوص سيمائيًا وجماليًا.

في حين نلحظ تصدّر كتاب عتبات لجيرار جنيت اهتمامه اللّامحدود بالمناص، وعدّ مرجعًا لكلّ من يريد الاشتغال بهذا الحقل وفك شفرات الخطاب، نجد أنّ جينيت يعمل على توسيع المصطلح ليشمل "حركة تداولية وتواصلية في المؤسسة النّقدية العالمية للعلاقة التي ينسجها بما يحيط بالنص، وما يدور بفلكه من نصوص مصاحبة وموازية وبفاعلية جمهوره المتلقي له " ﴿بلعابد ٢٠٠٨م:٢٦﴾ مع كل هذا التقعيد أو التنظير ظل المصطلح حبيس الدراسة الإمتاعية من دون مفارقتها.

لذا تقوم هذه الدراسة على بيان الكيفية التي تتموضع بها المقدمة، ومن ثم العمل على تأويلها، لتصبح خطابًا حاملًا للأطروحة، مؤمنًا بقضيتها مقنعًا لمتلقيها. وبالتالي الكشف عن مدى نجاعة المقدمة التراثية في استثمارها لهذه الحقول المعرفية.

وعلى وفق هذا التقعيد يتم التعاطي مع خطاب المقدمة بكونه نصًا موازيًا يحمل في منظوره الحجاجي آلية يبين فيها الطرق والاستراتيجيات التي تُستدعى في المقدمة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

ويعمل ابن سلام من خلال خطابه المرقون إفهام المتلقي بالأطروحة التي يراد لها أن تصل، فهو بذلك يماهي فلسفة الخطاب التي قُعِّد لها في اللحاظ الأول، من خلال الحركة المتصلة المنصهرة مع علم أصول الفقه في النشأة الأولى. ﴿ ينظر: زيوان، ١٤٣١هـ: ٦﴾ وبهذا الفهم يكون الخطاب هو" اللفظ المتواضَع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه واحترز (باللفظ) عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة و(بالمتواضع عليه) عن الالفاظ المهملة، (والمقصود به الإفهام) عن الكلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا". (الكفوي، ١٩٩٨م: ٤١٩)

والغاية لهذا الاستدعاء هو مراعاة الجانب الاجتماعي، الذي يحمله التعريف والذي يمكن له أن يتسرب عبر الخطاب، فضلاً عن البعد اللساني بما يقاسم اللفظ عبر آلية التواصل، والاستدعاء الأهم والمائز للمتلقي، والتأثير به عبر الخطاب المقصود.

ويبدو أن هذا الخطاب يشارك المفهوم اللساني عند سوسير في ثنائية اللغة – الكلام ، فهو يريد اللغة في حال الاستعمال، وهو بلا شك يعني الاستعمال الفردي وليس الجمعي للغة . الكلام . وهو الواجهة الثانية أو الوجه الآخر للغة وفقاً لسوسير. (ينظر: محسن، ٢٠٢٣م: ٤٣)

ويضعنا تحديد هاريس للخطاب في مجال لساني لا يخرج عن هذه الدلالة من خلال توصيفه بأنه "متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية" (يقطين ، ١٩٨٩م: ١٧) بينما يسعى ايستهوب ليجعل المفهوم مغايراً لما وجد فنجده يفارق الجملة لأنها تحتل الجزء الصغير فيه فهو عنده "الطريقة التي تشكِّل بها الجمل نسقاً تتابعياً، وتشارك في متجانس ومتنوع على السّواء" (مكدونيل، ٢٠٠١م: ٣١) وفي كل ما أشرنا إليه من تقعيد للخطاب فهو لا يخرج عن عباءة الاتجاه البنيوي، ولا يستطيع التخلي عن هيمنة الجملة، لكنه يأخذ شكلاً آخر ومغايراً مع فوكو من خلال تمثّله بالسّمات اللسانية، فهو عنده "مصطلح لساني يتميز عن النّص والكلام والكتابة، وغيرها ويشمل كل إنتاج ذهني، منطوقا أم مكتوبا، فرديا أم جماعيا، وللخطاب منطق داخلي، وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها، أو يحمل معناها، أو يميل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية، أو فرع معرفي ما".(فوكو،٢٠٠٧م: ٤)

على وفق هذا التقعيد الفوكوي تقف الدراسة بمحاذاة نصٍ مفارق، يرتمي في أحضان النقد من خلال التنظير لمفهوم يمثل أس الهُوية العربية المتمثلة بالشعر.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

ومن خلال الثّيمات السيميائية التي اتكأ عليها في ثريَّته العنوانية صاحب طبقات فحول الشّعراء، واستنادًا إلى المتن الذي حفَّ القائل والمفهوم.

فمنذ الوهلة الأولى لا تُسلّم الدراسة بالجمالي، على الرّغم من تلازم الإشهار النقدي الذي عني بالتأسيس الشعري، وبهذا اللحاظ تلتزم الدراسة باستدعاء المسارين الإمتاعي والإقناعي وتساوقهما لضرورة يستدعيها التّلقي الحديث من خلال الاتّكاء على رؤية تراثية تحمل بعداً اندماجياً من خلال الاطر التي قدّم لها القرطاجني إذ يرى" الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني، ويفترقان بصورتي التّخييل والإقناع، وكان لكلتيهما إن تخيّل وإن تقنّع... وكان القصد في التخييل الإقناع حمل النّفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلّي عن فعله واعتقاده"،(القرطاجنّي،١٩٨٦م: ١٩. ٢٠) وبذلك نصل إلى مفهوم عام يشي بأنّ الاشتغالين ليسا متقاطعين بقدر ما يقومان بالوظيفة المنسوبة لهما.

من هنا ترصد الدراسة ثمة علاقة معقدة بين الشفوية والكتابة، فيما يتعلق بالأدب، ولاسيما الشعر والتقعيد له، وذلك بسبب وجود سلطة كانت تملي على المستمع ما يراد لها أن يمَرَّر، من خلال استدعاء الذاكرة والحافظة الفردية.

فالتدوين الأول للنص المقدس شجع ابن سلام وغيره من الباحثين أن يخطّوا بأناملهم ما كان عرضة للإغارة بسبب الرواية ولاسيما الرواية المنتحلة، التي خلقت ضبابية في المشهد، كل ذلك أدى إلى إثارة حفيظة ابن سلّام، وخوفه على التراث الشعري، مما حدا به أن يلعب دورا مركزيًا وهو يرقّن مدونته النقدية، خوفا من الضّياع، وفقدان نتاج هذه الأمة، الذي كان مخزونًا في ذاكرتها، وأثبت حضورها الحضاري والمعرفي بين الأمم، من خلال الكشوفات التي قدمتها.

ومما لا شك فيه بأن المنظومة الشعرية العربية شع توهجها المبكر، من خلال ما كان يُنظم من الشعر ويُتلى على ألسنة الرّواة، وكل ذلك كان يتم عبر المشافهة، مما ترك باب تقعيد الحقوق مضطربًا، فأحدث ذلك إرباكاً شديدا في المشهد، وقف بوجهه ابن سلام قائلاً:" وفي الشعر مصنوع مفتعل كثير، لا خير فيه، ولا حجة في عربيةٍ، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب ...".(الجمحي، د.ت: ٤) إذ إنّ ما كان يُتَّكأ عليه بوصفه سلطة، خلق إشكالية كبرى في ذهن الرجل، فحاول أن يثير استفهامات عدة، من خلال الأجوبة التي حاولت الثقافة الشفاهية أن تسيّدها وتقعِّدها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

وهو بلا شك يقع على عاتق من لم يقم بعملية التدوين، فكان نتيجة ذلك توازع المشهد بين مَن يدوّن شعره، ومن يعتمد على ألسنة الرّواة في النّقل، مما خلق فوضى عارمة، وضبابية مقصودة في اللحاظ الاول، مما حدا بأمواج الشعر أن تتلاطم مع بعضها ، جراء نسبتها من شاعر إلى آخر، عبر آلية الخداع والتدليس التي تمرَّر على المستمع ، وذلك يعود لغياب الموضوعية، إذ صرّح بذلك في قوله: " تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء...". (الجمحي، د.ت: ٤)

ترى الدّراسة أن ذلك قد يعود إلى الذّهنية العربية، ولا سيما الذهنية الشّعرية، ومساحة تفكيرها، وعدم تسييج نتاجها الشّعري، بل جعله في فضاءات لا محدودة، أو ربما لا يعي حجم المشكلة التي قد تتسبب في المستقبل جراء حصول الوضع والانتحال.

فالأنا الشعرية العربية تشكل رؤاها الفكرية، ولا تكترث بما يحدث بعد ذلك، فنجد المتنبي يُبعد ذاته بقصدية، ويترك الأمر بأن يأخذ مدياته عبر القراءات المتعددة، فالنص على وفق هذا ينمو، وتدبّ فيه الحياة ويبقى خالدًا،

يقول: (٢٠٠٧م: ٤: ٦٣)

أنامُ ملءَ جفوني عن شوارِدِها ويسهرُ الخلْقُ جرّاها ويختصِمُ

فعند الوقوف على مقدمة طبقات فحول الشعراء تطرح الدراسة استفهامها المركزي، الذي يحيط بالمقدمة مفاده؛ أين تكمن أهمية المقدّمة عند ابن سلّام؟

بدءاً تواجه الدراسة كماً هائلا من القراءات الجادّة، واللّامعة التي تواصلت مع هذه المقدمة، لذا نعتقد بأنّ زاوية النظر في هذه الدراسة مغايرة، وتلقّيها مغاير عما سبق، فكل " قراءة للنّص ما هي في الحقيقة إلّا إنطباع لثقافة القارئ وتكوينه المعرفي عن النّص، بحيث يمارس سلطته في توجيهه، وفرض أنساقه المعرفية عليه"، (سلطان، ٢٠١٨م: ١٥)

ولابدّ لهذه القراءة أن تعي حجم المخاطرة، لأنّها تمسّ نصاً تراثياً يحمل في طياته هُوية نقدية متقدمة، تسهم وتشارك في رسم صورة للمشهد النّقدي التّراثي، فالركون للموضوعية يتطلب استدعاء بعض القراءات التي حاولت إنتاج وترقين مجموعة من التصورات والآراء، وبعيدا عن إطلاق الأحكام المعيارية بالإيجاب والسّلب اتجاه مقدمة طبقات فحول الشّعراء، إذ تذهب بعض الدراسات بالقول:" يكاد إجماع الدّارسين لهذا الكتاب أن ينصرف إلى مقدمة مضطربة مبعثرة الموضوعات... "، (الطرابلسي، ١٩٨٦م: ١٨١)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

في حين ترصد دراسة أخرى أنّ المقدّمة في الطبقات" اتسمت بكل الخصوصيات البنيوية التي تجعل منها مقدّمة في المعنى العلمي الدّقيق لمفهوم المقدّمة". (بلال، ٢٠٠٠م: ٥٨. ٥٩)

إذ فارق ابن سلام في طروحاته الفكرية آليات تفكيرية مهيمنة وسائدة في عصره، والتي كانت تتكيء على الإجابات الجاهزة على الرغم من سعيه لمباعدة المقاربات التي تسلّم بالإجابات القارّة. لا سيما بما يتصف به الرجل من ورع علمي وفكر ثاقب وحسٍّ نقدي، فضلا عن جدل الأنا القابع في نفسه، وحواره المستمر مع الذّات، فأخذ على عاتقه الولوج في مشغل مغاير، مستندا بذلك على آلية مغايرة في التفلسف، وبذلك استثمر خطاب المقدمة ليحمل أطروحته بكل أشكالها وتجلياتها، محاولا التأثير على المتلقي من خلال زعزعة التصورات الثابتة لديه عبر إنشاء سلطة جديدة، موازية لسلطة الشفاهية القديمة .

فالسلطة الشفاهية تمارس دورها بشكل معلن، ومخاتل، حيث جاءت السلطة وهي تحمل مفهومها الإشهاري بـ " القدرة والقوة على الشيء والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره... وجمع السلطة سلطات، وهي؛ الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة، كالسلطة السياسية"، (صليبا، ١٩٧٨م: ٦٧٠) والدينية والثقافية، والتي تعمل على بث أيديولوجيتها على المتلقي.

لذا احتجّ ابن سلام على هذه السلطة بسلطة التأليف، والتي تحمل في صيغ خطابها رؤىً وأيديولوجيات منافحة، ومغايرة، من خلال مشروعه القائم على المقاربة التساؤلية المتكرسة عبر الأشكلة التي تولدت لديه على السلطة الشفاهية، والتي عملت بدورها ببسط أجوبتها وهيمنتها، إذ يرى ميشيل مايير "إن الحجاج هو بمثابة جواب عن سؤال يطرحه المخاطب أو المتلقي ليواجه به المتكلم مالك سلطة القيم". (حمداوي،٢٠١٩م: ٨)من هنا عمل ابن سلام بمفاوضة هذه الشفاهية التي مرَّرت أجوبتها النهائية من خلال صيغها التي تحمل معها أسئلة عدة.

وبهذا يكون حجاج ابن سلام عبر مدونته إجابة على سؤال مطروح تحمله السلطة المهيمنة بافتراضاتها المتعددة، فتأتي الإجابة عبر ممري الظاهر، والضمني، لأن جوهر الدراسة في الحجاج "هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه" (حمداوي، ٢٠١٩م: ٨) وبهذا انماز في مواجهة المسارين ففي الأول حاول جاهدا أن يجد بديلا مقنعا ومرضيا للمتلقي عبر التدوين، وفي الآخر اتخذ التأويل ممرا ينجز فيه فعلا يسعى من خلاله تغيير القناعات الثابتة، وإنشاء قناعات مغايرة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

لقد حاورت الدراسة هذا الخطاب والوقوف على دلالاته المتعددة في الظاهر، وهي تشي بتطور الإنسان وامتلاكه أدوات مغايرة عبر التطور والاستشراف، غايته من هذا إنشاء تدوين يقعّد للجوهر الشعري، وحاضنته، على وفق مقصدية متمثلة بذكره للعرب وأشعارهم، عبر تمثله للمصطلح من خلال استراتيجية الاختيار على من ينطبق عليه، ومن له باع واسع في هذا المجال، وله كلمة الفصل لئلّا يقع خلاف بين طرفي المدوّن والمتلقي، من "المشهورين والمعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها..."، (الجمحي، د. ت: ٣) ويتماهى ابن سلام من خلال استدعائه لمقدمات كبرى يشترك فيها مع العقل المنطقي السّائد بمعية المتلقي من خلال الاتكاء على خزائن مشتركة مع الآخر، في" ما لا يجهله عالم ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب".(الجمحي، د.ت: ٣)

ويبدو ما كان يخيف ابن سلام ليست الشفاهية بكونها مفهوما نافلا، بقدر ما تحمله في أثنائها خروج متعمد عن المسار الذي رسمه العلماء لهذا العلم، وهذا الأمر يقبع في أنساق ابن سلام المضمرة والمعلنة ومن هنا نطرح استفهامنا؛ أليس من المفروض أن يكون ابن سلام أكثر اتساعا بقبول الآخر وأطروحته!!؟ بكونه يمثل طرحا مغايرا ويسهم بطريقة أو بأخرى بإغناء هذا الحقل المعرفي، أم كان يمتلك رؤية بعيدة يرى أنّ في هذا الخروج أنساقا واستراتيجيات تقلقه أكثر من كونها وجهات نظر، فنجده جازما بقوله: "فاما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه"، (الجمحي، د.ت: ٤) ألا يعدّ هذا الطرح تكريساً لسلطة جديدة تحاول أن تعلن هيمنتها على الآخر، من هنا يعمل ابن سلام على إنشاء استراتيجية يراد لها أن تحمل مشروعه المعرفي، عبر الإبطاء والإطناب الغاية منها تغيير القناعات الراسخة لدى سامعيه من خلال الضغط عليه بوتيرة تتوازع بين القلة والكثرة.

إذ أراد ابن سلام أن يمرر أفكاره ويبني حججه والتي بفعلها تنتج ضغطا كبيرا على المتلقي، ولا ينفك عنه حتى يسلِّم له لأن هذا الاشتغال يستدعي " قدرة لدى المحاجج كبيرة وثقافة لدى المستدل واسعة وخبرة بالجمهور راسخة لأن من شروط النجاعة أن يكون الإطناب في العرض طريقا حتى لا يدب الضجر ولا يتولد الملل في عقول الجمهور"،(شبعان،٢٠١٠م: ١٢٠) فيستدعى ذلك أن يعرض الصناعة المهمة لدى العرب، إذ "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم"، (الجمحي، د. ت: ٤) فنجده يتكئ على أهل العلم كثيرا، وربما هو جوهر مشروعه الحجاجي، بكونه الموجِّه الآمن لمتلقي هذا العلم.

ومن ثم يبطئ عبر حركة مقصودة غايته زعزعة التصورات القارّة في أسماع متلقيه فيشابه الشعر بباقي الصناعات، من خلال توصيفه للعلم والصناعة، "منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان"، (الجمحي، د. ت: ٥) وبذلك يعمل على زيادة في الحركة الإطنابية في تمييزه في الصناعات، فنراه يقول:" من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة، ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم... ومنه البصر بغريب النخل... ويقال للرجل والمرأة، في القراءة والغناء: إنه لندي الحلق، طلّ الصوت، طويل النّفس، مصيب للّحن، ويوصف الآخر بهذه الصّفة، وبينهما بون بعيد يعرف ذلك العلماء عند المعاينة، والاستماع له، بلا صفة ينتهي إليها، ولاعلم يوقف عليه، وإن كثرة المدارسة لتعدي على العلم به، فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به" (الجمحي، د.ت: ٥. ٦)

ومن ثم يتعالى حجاجه من خلال الاتكاء على واقعة مشتركة لا يمكن نكرانها، عبر ثقافة مشتركة بين طرفين يمكن لها أن تمرَّر وتُقبل ولا يمكن دحضها لكونها واقعة قد حصلت من خلال الحوارية الثقافية للقول غايته في ذلك دحض الرواة وإعلاء أصحاب العلم؛ " قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز ـ وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله ـ: بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى؟ قال له: هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه؟ قال: نعم. قال: أ فتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك؟ قال: نعم. قال: فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر ما تعلمه أنت؟" (الجمحي، د. ت: ٧)

ويتصاعد حجاجه من خلال الإشهار الذي قام به بوضع محمد بن إسحاق بن يسار وإلصاق التهمة به، وحفه بالشبهات من خلال إفساده للشعر، وتهجينه، وحمل كل غثاء منه، (ينظر: الجمحي، د.ت: ٧. ٨) ويبدو من هذا الإشهار وإلصاق التهم به مقصديته التقليل من مكانة الشخصية أمام المتلقين، فضلا عن بيان عمله الأساس الذي كان يمتهنه، " وكان أكثر علمه بالمغازي والسير"، (الجمحي، د. ت: ٨) وبسبب حمولاته المعرفية ومكانته بين الناس، تقبل الناس منه ما يتقبل، وكان الشعر أحد تلك العلوم العالقة في ذهنه، فكان يقدمها للناس وطالما كان يعتذر عن قول الشعر ونسبته للآخرين، لكن الضغط الذي مورس عليه من قبل الحاضنة الاجتماعية التي تحفه، مما حمله طاقة أخرى لا يسعه تحملها فوقع في المحظور، مما أدى إلى نقله لبعض السير، فجاءت تحمل شعرا كثيرا لأسماء ليست معروفة بقول الشعر، بل زاد على ذلك فنسب شعرا لعاد وثمود، فدون لهم شعرا كثيرا.(ينظر: الجمحي، د. ت: ٨) وكأن ابن سلام يريد بواسطة الحمولات العقلية الواسعة التي كانت تحتل عقله أن يقوم بإنشاء تخصصات للعلوم، ولا يجعلها عامة مطلقة، وبين أن من أسباب حمل علم من العلوم لا يعني حمل العلوم بأجمعها، بيد أن ما حصل مع محمد بن

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

إسحاق لا يقع على عاتق الرجل لوحده، بل أسهم في ذلك المجتمع عندما منحه مساحة واسعة من خلال ما يمتلكه الرجل من مؤهلات في علم دون سواه، ما حدا بهم أن يمنحوه الثقة الكبيرة في نقل العلوم الأخرى، مما أوقعه في وهم كبير.

ويزيد من إطنابه في المقدمة من خلال الوقوف على أخبار لغوية ونحوية، احتلت مساحة واسعة من الصفحات البياضية لديه.(ينظر: الجمحي، د.ت: ٢٢.٩)

ربما يعود ذلك لمقصدية يحملها، ويراد لها أن تمرر،أو قد يعود ذلك لثقافة الرجل وسعة حمولاته الفكرية، أو هي مناورة منه لبيان إشكالية التدوين والشفاهية في ذهن المتلقي، ودربته على أخبار مدونة، ومن ثم يعود إلى مشروعه الجوهري الذي يسيطر على موضوعته، والتي أراد لها التقعيد من خلال العودة المتكررة لأقوال العلماء والشعراء بالشعر.

فيقف محاججا عن طريق السلطة وتمثلاتها التي أحاطت بالشخصيات، والتي كان لها الأثر الكبير في المتلقي، و تعمل بشكل أو بآخر على التسليم بالحجة المعروضة، وعدم التمسك بالحجج السابقة، فنجده يتكئ على هذه الاستراتيجية، وهي تمثل الاستدعاء الأهم؛ لأنها تثبت مكانة هؤلاء في نفوس السامعين، من أمثال: خلف الأحمر، والأصمعي، وأبي عبيدة، والمفضل بن محمد الضّبّي.(ينظر: الجمحي د.ت: ٢٣)

ويهمس تلميحا في مدى مصداقية الشخصية المستدعاة لأنها كانت تحتل مكانة كبيرة في مشروعه الذي كان يعارض الدخيل، فيقول:" إنه كان أفرس الناس ببيت الشعر، وأصدقه لسانا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا" (الجمحي، د.ت: ٢٣)

فكان لوعيه الكبير بالتدوين أن يجعل لكل سياق زمني محمود مجموعة من الشعراء ممن عرف عنهم الفحولة والتفرد، واستبعد من ذلك من لا يتصف بهذه الصفات، ربما قد يعود ذلك إلى الخلاف الحاصل بين الرواة والعشائر باتجاه شاعر ما.

أو ربما التقاسم الحاصل بين الرأي والعاطفة الذي تتكئ عليه الشفاهية، مما يبعد الوصول إلى الحقيقة وتقديمها بموضوعية للمتلقي، فكان الحضور الزمني مهم عنده، لأنه ينضم الفكر ويسلسله، فتكأ على ثيمة العدد وجعلها تحتل مساحة واسعة من مشروعه بقصدية مريدا بذلك تنظيم الأفكار الكبرى لهذه الأمة، فكانت الرغبة العددية هي استجابة موضوعية لكثرة الشعراء، فوضع قوانينه لتمييز

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

الفحل عن غيره،" فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألّفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط لكل طبقة متكافئين معتدلين".(الجمحي،د. ت: ٢٤)

يبدو أن ابن سلام كان واعيا لمشروعه، وغايته الوصول إلى الخلاصة المنتقاة للشعراء وشعرهم، فنظر في الشعراء عبر تسلسلهم الزمني من جاهلية وإسلام، فأنزلهم منازلهم ثم عاد فاصطفى من الشعراء المشهورين المعروفين بوصفهم فحولا محاججا بهذا المصطلح الذي يشترك فيه الباث والمتلقي من أجل جعله مبدأً تفاضليا بين الشعراء من خلال الاتكاء على البيئة وحمولاتها، ثم عاد مرة أخرى فاصطفى من الفحول أربعين شاعرا في الجاهلية وأربعين شاعرا في الإسلام، فانتهى به الأمر حتى وصل إلى عشرة ضروب سماها طبقات، فألف من تشابه في شعرهم، فجعله كل أربعة منهم في طبقة تضمهم، معيارها الكفاءة والعدالة، ولا يشكل لديه أي مشكل في نزول شاعر أو صعود شاعر في طبقة، وهذا ما حدث؛ لأن جوهر عمله كان يحمل غايات كبرى يسعى إليها الرجل من دون الوقوف على أمور جزئية في مشروعه.

الخاتمة

توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها:

١- يعد خطاب المقدمات خطابا حجاجيا بامتياز يبتعد هنا كثيرا عن المآل الجمالي.

٢- حمل خطاب ابن سلام في مقدمته بعدا نفسيا كان يؤرقه، مما جعله يفكك الاسئلة التي كانت تحمل الاجوبة النهائية لتلك الشفاهية.

٣- يكتنز مفهوم الشعر في حمولات ابن سلام لمآلات كثيرة، منها أس التكوين للهوية العربية لديه.

٤- ثمة أنساق قابعة في فكر ابن سلام الجمحي جراء تقديم هذه المقدمة بشكلها النهائي، اذ مثلت عملية هدم وبناء جديد مغاير لما هو مألوف في السابق.

٥- احتلت المقدمة مكانة كبيرة؛ لأنها شكلت نصا موازيا للمتن مع النصوص المصاحبة لها.

٦- انمازت المقدمة بخصوصيات عدة قعدت سلطة الحجاج التي تسعى من خلالها الى اقناع المتلقي وزعزعة القناعات السابقة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

المصادر

١. . البرقوقي ، عبد الرحمن (ط٢ – ٢٠٠٧ م) شرح ديوان المتنبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان

٢. . بلال ، عبد الرزاق (٢٠٠٠م) مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم دارأفريقيا الشرق – الدار البيضاء

٣. . بلعابد ، عبد الحق (ط١–٢٠٠٨م) عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص ، منشورات الاختلاف بيروت.

٤. . الجمحي ، محمد بن سلام (د– ط – د– ت) طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه ابو فهر محمود محمد شاكر ، الناشر دار المدني بجدة.

٥. حمداوي ، جميل (ط١ –٢٠١٩ م) الفلسفة والاسئلة الكبرى عند ميشيل مايير ، دار الريف للطباعة والنشر، تطوان – المملكة المغربية.

٦. . زيوان ، فاتح (١٤٣١هـ) اثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس ، كتاب المجلة العربية ، الرياض – السعودية.

٧. . السلطاني ، حكيم سلمان (ط١ – ٢٠١٨ م) القراءة الحديثة للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن.

٨. الشبعان ، علي (ط١ – ٢٠١٠ م) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الاشكال والاستراتيجيات، دار الكتب الجديدة، بيروت – لبنان.

٩. . صليبا ، جميل (د–ط– ١٩٧٨ م) المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت– لبنان

١٠.. الطرابلسي ، أمجد (ط٥ – ١٩٨٦ م) حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتأريخ والجغرافيا، دار قرطبة للطباعة والنشر ، الدار البيضاء– المغرب

١١.فوكو ، ميشيل (٢٠٠٧ م) نظام الخطاب ، ترجمة محمد سبيلا ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.

١٢.القرطاجني ، أبي الحسن حازم (ط٣– ١٩٨٦ م) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الاسلامي ، بيروت – لبنان.

١٣.. الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى (١٩٩٨م) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

١٤.. محسن ، كريم صالح (ط١ – ٢٠٢٣ م) تحليل الخطاب في الدراسات العربية الحديثة أطر تنظيرية ونماذج تطبيقية ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

١٥.. مكدونيل، ديان (ط١ – ٢٠٠١ م) مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة : عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، مصر .

١٦.. يقطين ، سعيد (ط١– ١٩٨٩ م) تحليل الخطاب الروائي – الزمن – السرد – التبئير ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان.

List of sources

17. Al-Barquqi, Abdul Rahman (2nd ed. - 2007 AD) Explanation of the Diwan of Al-Mutanabbi, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon
18. Bilal, Abdul Razzaq (2000 AD) Introduction to the Thresholds of the Text: A Study of the Introductions to Ancient Arabic Criticism, Dar Africa Al-Sharq, Casablanca
19. Belaabed, Abdul Haq (1st ed. - 2008 AD) The Thresholds of Gerard Genette: From Text to Context, Ikhtilaf Publications, Beirut.
20. Al-Jamhi, Muhammad ibn Salam (d-t-d-t), Classes of the Great Poets, read and explained by Abu Faher Mahmoud Muhammad Shaker, published by Dar al-Madani in Jeddah.
21. Hamdawi, Jamil (1st ed. - 2019 AD), Philosophy and the Big Questions of Michel Meyer, Dar al-Rif for Printing and Publishing, Tetouan, Kingdom of Morocco.
22. Ziwan, Fatih (1431 AH) The Impact of Intellectual Reference on the Analysis of Linguistic Discourse from the Second Century AH to the Fifth Century AH, The Arab Magazine, Riyadh, Saudi Arabia.
23. Al-Sultani, Hakim Salman (1st ed. - 2018 AD) A Modern Reading of the Qur'anic Text in Light of Discourse Analysis, Kunuz Al-Ma'rifa Publishing and Distribution House, Amman, Jordan.
24. Al-Shab'an, Ali (1st ed. - 2010 AD) Argumentation, Truth, and Horizons of Interpretation: A Study of Forms and Strategies, Dar Al-Kotob Al-Jadida, Beirut, Lebanon.
25. Saliba, Jamil (d. ed. - 1978 AD) The Philosophical Dictionary, Dar Al-Kotob Al-Lubnani, Beirut, Lebanon.
26. Al-Tarabulsi, Amjad (5th ed. - 1986 AD) The Arab Authorship Movement in Language, Literature, History, and Geography, Dar Qurtuba for Printing and Publishing, Casablanca, Morocco.
27. Foucault, Michel (2007) The System of Discourse, translated by Muhammad Sabila, Dar Al Tanweer for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon.
28. Al-Qartajani, Abu Al-Hasan Hazim (3rd ed., 1986) Minhaj Al-Balaghaa and Siraj Al-Udabaa, introduced and edited by Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khawja, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, Lebanon.
29. Al-Kafwi, Abu Al-Baqaa Ayyub bin Musa (1998) Al-Kulliyyat: A Dictionary of Linguistic Terms and Differences, Al-Risala Foundation, Beirut, Lebanon.

30. Mohsen, Karim Saleh (1st ed. - 2023 AD) Discourse Analysis in Modern Arabic Studies: Theoretical Frameworks and Applied Models, Kunuz Al-Ma'rifa Publishing and Distribution House, Amman, Jordan.
31. McDonnell, Diane (1st ed. - 2001 AD) Introduction to Discourse Theories, translated by: Ezz El-Din Ismail, Academic Library, Egypt.
32. Yaqteen, Saeed (1st ed. - 1989 AD) Narrative Discourse Analysis - Time - Narration - Focalization, Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية